الباب الثاني
الحياة المسلمة

obeikandl.com

أسلوب المؤمن

أورد البخاري في «كتاب التفسير» من صحيحه رواية ضمن تفسير سورة الحجرات، عن ابن أبي مليكة قال: «كاد الخيِّران أن يهلكا، أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبيﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم. فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي. قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم** . . .﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمِع رسولَ اللهﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه».

هذا هو أسلوب المؤمن. فقد يرفع المؤمن صوته على الله ورسوله في حالة النسيان أو الجهل بخطورة ما يعمله، ولكنه يُخفِت صوتَه فور أن يعلم بخطورة ما يقوم به.

ولم يكن هذا مطلوباً في عصر الرسولﷺ فحسب، بل هو مطلوبٌ اليوم كذلك. والفارق بين الحالتين هو أن رافعي الصوت كانوا يتلقون التنبيه والإنذار من الرسولﷺ مباشرة، أما اليوم فسيقوم بذلك شخص آخر باستخدام إشارات من القرآن الكريم والحديث النبوي. ولو بُيِّن حكم الله ورسوله أمام أي شخص اليوم فعليه أن يخفض صوته تماماً، كما قام به أهل الإيمان في العصر الأول.

الحياة الإسلامية

اختلف أهل التصوف فيما بينهما حول ما هو الأفضل: حياة العزلة أو حياة الاختلاط الاجتماعي.

ولكن لاشك في أن الحياة الإسلامية الحقيقية تقتضي المعيشة في المجتمع. وقد قال النبي ﷺ: «لا رهبانية في الإسلام». وقد منع الرسول ﷺ عدداً من الصحابة الذين عبَّروا عن رغبتهم في الحياة الإنعزالية بعيداً عن الناس.

والحياة الانعزالية غير مقبولة؛ لأن الإنسان يُحْرَم بسببها من التعليم والتعلم، اللذين لا بدّ منهما للارتقاء الإنساني العقلي، كما أن الإنسان ينشأ بهذا الأسلوب على الصبر على الشدائد ومواجهة العداوات، ويجد الفرص لخدمة البشر.

لا يفصلنا عن الآخرة سوى جدار موهوم

يوجد في منطقة دَهْنباد بشرق الهند منجم للفحم مهجور منذ سنة ١٩٤٥ ، وقد امتلأ هذا المنجم بالمياه على مر الزمن . وفي سنة ١٩٧٤ حفر منجم جديد على مبعدة ٨٠ قدماً من هذا المنجم القديم .

وكان المنجم الجديد يحتوي على كل الآلات الحديثة ، وقد جرى تخطيطه وتنفيذه بتنسيق مع البنك الدولي وخبراء أجانب . وكانت مسافة ٨٠ قدماً بين المنجمَيْن تعتبر فاصلة آمنة . ولكن في ٢٧ ديسمبر ١٩٨٥ حدث ثقب كبير في هذه الفاصلة بين المنجمين ، وأخذت مياه المنجم الأول تتدفق إلى المنجم الثاني بقوة وسرعة رهيبتين ، لدرجة أن المنجم الثاني امتلأ خلال ثلاث دقائق فقط . . ومات كل من كان داخل المنجم غرقاً ، وعددهم ٣٧٢ من عمال ومهندسين ، في هذه المياه التي بلغت كميتها مائة مليون غالون . ولم ينج إلا عامل واحد كان قد خرج من المنجم قبل الحادث بدقائق معدودة .

هذا الحادث صورة مدهشة لحياتنا نفسها . فنحن لا يفصلنا عن الآخرة سوى جدار الموت الموهوم ، ونحن معرضون في كل لحظة لخطر انفجار هذا الجدار ليفجؤنا طوفان حقائق الآخرة بدون سابق إنذار ، وحينذاك لن تسعفنا قوانا أو ألعابنا الكلامية ، وسيقف كل منا دون

نصير أو شفيع أمام ربه. وكل الذين سحرتهم مغريات الدنيا، حتى لم يعودوا يقبلون الاستماع إلى النصح والإنذار، سيُقذف بهم إلى جحيم الفشل والهلاك الأبديين. ولن ينجوَ من هذا المصير المحتوم إلا الذي أعد نفسه لمواجهة يوم الحساب أمام خالق الكون.

أذكى الناس هو الذي يُسَخِّر نفسه إعداداً لمواجهة ذلك اليوم الآخر. . .

obeikandl.com

الترتيب الحقيقي

خصصت دائرة المعارف البريطانية نحو سطرين من هذه السطور التي تقرأونها لذكر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. ولكن اسمه هو الواحد والخمسون في قائمة عظماء التاريخ المائة الذين اختارهم الكاتب الأمريكي مايكل هارت في كتابه «المائة».

ويوضح هذا المثال ورود اسم شخص ما في التاريخ أو عدم وروده، أو وروده بتفصل أو باقتضاب ليس معياراً في حدِّ ذاته حول أهميته. فالمؤرخون أحياناً يحذفون شخصية ما رغم أنها هي أهم شخصية كان ينبغي عليهم تناولها بالتفصيل، وهم يبرزون أحيانا شخصيات أخرى رغم أنها لا تستحق مجرد الذكر.

ومما كتبه الدكتور مايكل هارت عن عمر بن الخطاب: «انجازات عمر مؤثرة للغاية. ويمكن أن يتعجب البعض من أن عمر -المجهول تقريباً في الغرب- هو أعلى مكاناً في هذه الدراسة من رجال مشهورين مثل شارلمان ويوليوس قيصر. ولكن الحقيقة هي أن فتوحات العرب تحت قيادة عمر الباهرة -مع الأخذ في الاعتبار اتساع رقعتها ودوامها- هي أهم بكثير من أعمال كلٍّ من قيصر وشارلمان» (المائة ص ٢٥٧).

لم تكترث دائرة المعارف البريطانية بعمر الفاروق، بينما اعتبره مايكل هارت الشخصية الواحدة والخمسين بين عظماء التاريخ المائة. واسمه هو الثالث في قائمة عظماء التاريخ الإسلامي.

ما أكثر عباد الله الذين يعتبرهم الكُتَّاب والمتحدثون غيرَ ذي أهمية حتى لذكر أسمائهم. ولكن سيتصحح هذا الخلل يوم القيامة، وسيكتب اسم الكل هناك في مكانه الصحيح الذي يستحقه حقا، بدلاً من المكان الذي وضع فيه في الدنيا نتيجة أهواء البشر.

obeikandl.com

الدنيا دار امتحان

ولـد عمر بن بحـر بن محبوب الكنـاني (١٦٣-٢٥٥هـ) بـالبصرة، وتوفي بها، وهو يعرف عمـوما باسم «الجاحظ»، ويُعتبر من أئمة الأدب العربي، وكـان حريصا على مطالعـة الكتب لدرجة أنه تـرك كتاب على صـدره حين مات مفـولجا. ومن كتبـه «البيان والتبيين»، وقـد كتب في مقدمته الدعاء التالي:

«اللهم إنـا نعـوذ بك من فتنـة القـول، كما نعـوذ بك من فتنـة العمل. ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسـن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن. وتعـوذ بـك من السـلاطـة والهذر، كما نعـوذ بك من العي والحصر».

الدنيا مكـان امتحان، فالامتحان جـزء -بأسلوب أو آخر- من كل شيء هنا. ولـذلك يجب على الذي يخاف مـن بطش الله يـوم الآخرة أن يعوذ به تعالى في كل معاملـة من معاملاته، وأن يستنصر به في كل شأن من شؤون حياته.

وامتحـان الدنيـا الحقيقي ليس في مـا «حصل» عليه شخص مـا أو «أضـاعـه»، بل الامتحان الحقيقـي هو في ردِّ فعلـه إزاء «الحصـول» أو «الضيـاع». ويجب عليه أن يحتـاط في قولـه تمامـاً كما يحتاط في عملـه.

ويجب عليه أن ينظر إلى ما يقوم به من «عمل» بنفس المعيار الذي يستخدمه إزاء ما «لا يعمله» . . يجب عليه أن يقيم الدليل على عبوديته لله تعالى، حين يكون قادرًا على غيره من البشر تماماً كما يقيم الدليل حين يكون عاجزاً أمام آخرين من البشر.

النجاح في الدنيا امتحان، والفشل في الدنيا امتحان كذلك. فالإنسان هنا يحاسَب على عمله كما يحاسب على ما لا يقوم به من عمل.

obeikandl.com

« قل: اعملوا .. »

قد أنشأ الله تعالى كونه على أُسُسٍ غايةٍ في الإحكام والدقة. فلا تنبت شجرة ما بطريقة سحرية، ولا تقفز كرة من كرات الكون فجأة من مكانها إلى موقع آخر . .

وفي مثل هذا الكون المنظم نحن ننتظر ميلاد «الصالحين» ، الذين سيأتون بالمعجزات لإصلاح أحوالنا . . نحن نبحث عن «قائد» فذٍّ يخلق للأمة مستقبلاً جديداً بإشارة من عصاه السحرية . .

على الذين يعيشون بآمالٍ كهذه أن يعرفوا أن مثل هذه الوقائع الطلسمية المعجزة لن تحدث في عالم الله هذا. ولو كانوا يفضلون أن يعيشوا متشبثين بالأوهام فما عليهم إلا أن يرحلوا عن كوننا هذا إلى كون آخر يطابق أوهامهم.

النقـد

لماذا يغضب النـاس من النقد الذي يـوجه إليهم؟ السبب في ذلـك هو أنهم يعتبرون النقد بمثـابة الإهانة. ومـا كانوا ليغضبوا لـو اعتبروا النقد اختلافاً في الرأي.

ومن أقوى العـواطف الكامنـة في نفس كل إنسان أن يـرى نفسه عـزيزاً كريماً، وهـو لا يحب الإهانة لنفسـه بأي حال من الأحـوال. وهو حين يسمع أو يقرأ نقـداً موجهـاً إليه فهـو يعتبره -نتيجة نفسيتـه المذكورة- هجـومـاً على كرامتـه ووقـاره. وهـذا هو السبب في أنـه يشتعل غضبـاً بمجـرد سماع النقد، ويحاول أن يسكـب كل ما لـديـه من غضب على ناقده.

ولا شك في أن النقد من أمرَّ الأشيـاء لكل إنسان، ولا فرق في هذا بين العـوام والخواص، وهنـاك نوعـان فقط من النـاس الـذين ينجـون من الغلو عند النقد.

أولهما: الإنسـان الـذي يخاف اللـه تعـالى حق الخوف، وهـو الإنسـان الذي يدرك عظمـة ربه أعمق الإدراك لدرجلـة أن وجوده البشري يفقد كل أهميـة في نظره، فهـو قـد آمن بصغره وهـوائه نتيجـة إيمانه بعظمـة الله. ومزاجه هـذا جُنّة ضد انفعاله واشتعالـه غضباً عند سماع النقد. فلِمَ سيغضب لـو كان النقد تصغيراً لـه، فهو قـد صغّر نفسـه بالفعل بإدراك عظمة خالقه.

أما الإنسان الآخر الذي لا ينفجر عند سماع النقد فهو: ذلك الإنسان الذي تمكن منه المزاج العلمي بمعناه الحقيقي. والعلم يعني دراسة الحقائق الخارجية الطبيعية. وعقلية عالم الطبيعة تقول بأن الحقيقة هي ما يجده في الخارج وليس ما هو موجود مسبقاً في عقله. هذا المزاج العلمي يسلب من الإنسان العالِم حبَّه للذات، ويجعله ميّالاً إلى الواقعية. ونتيجة هذا المزاج العلمي أنه حين يُواجه مثل هذا العالِمُ النقدَ فهو ينظر إليه بطريقة موضوعية بفصل ذاته عن ذلك النقد، ويتوجه مخه إلى حقيقة مغزى النقد وليس كونه جارحاً لذاته. أما الذي يشتاط غضباً بسماع النقد، فهو يقيم الدليل على أنه لا يتمتع بالتقوى ولا بالمزاج العلمي، ولو تعرض للنقد فهو حريٌّ بأن يُنقَد.

زلزلة أشد

نشبت النيران في منطقة أَديليد من أستراليا في فبراير ١٩٨٣، فحرقت ٧١ شخصاً أحياء، وحوّلت ثمانية آلاف شخص إلى لاجئين دون مأوى. وقال أحد رجال الإطفاء الذين شاركوا في إطفاء هذه النيران: «إن الإنسان هنا يقف عاجزاً في مواجهة الطبيعة. وقد يبدو الأمر درامياً إلا أنه لم يكن أي مقدار من الوسائل المادية والشجاعة البشرية أن تسعفنا هنا» (الغارديان، ٢٧ فبراير ١٩٨٣).

وما قاله رجل الإطفاء هذا حول النيران ينطبق بصورة أشد على الزلازل. فالزلازل تعريف أولى بقوة الله اللانهائية، التي سستتجلى يوم القيامة . . فسيحين وقتٌ يحطِّم اللهُ تعالى هذا العالم بزلزال عام وأشد، وسيقف الإنسان عاجزاً تمام العجز أمامه.

ستندثر الجبال يومذاك كذرات من رمال. وستطغى موجات البحر على البر من جراء التلاطم الشديد. وأفخم المدن ستنهار كقشة في طوفان. ولن يكون في العالم كله من ملجأ يلجأ إليه الإنسان للنجاة من ذلك الزلزال العظيم.

وسيكون ذلك نهايةً لهذا العالم وبدايةً لعالم جديد. وكل ما حصل عليه الإنسان في العالم الراهن هو للامتحان، أما ما سيحصل عليه في العالم القادم فهو جزاء لما قام به في حياته الدينوية.

وسيتجلى خالق الكـون ومالكه في ذلك اليـوم ليحاسب كلَّ البشر. وسيتم الفـرز بين البشر . . الصـالحون في جـانب والأشرار في جـانب آخر. وسيكتب للصـالحين حياة طيبة وللأشرار حيـاة سوء وألم وشقاء. وسيكون على الكل أن ينعم بإنعامه، أو أن يشقى بجزائه إلى الأبد.

زلزال اليوم نذير بالزلزال الأشد القادم. والعاقل هو من يرى الغد في مرآة اليوم فينصرف إلى الإعـداد لغده قبل حلوله . . فلا فرصـة للإعداد إلا اليوم، بينما الغد سيكون فرصة للجزاء والعقاب لا غير.

والمعتبر من الزلزال هو من يرى في زلزلة اليوم زلزالَ الغد.

obeikandl.com

أهمية الاتحاد

روى أبو سعيد الخدري أن الرسولﷺ قال: « إذا قمتم (للصلاة) فاعدلوا صفوفكم، وسدُّوا الفُرَج».

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنه: «إن مَن وصل صفّاً وصله الله، ومن قطع صفّاً قطعه الله».

وروى أنس بن مالك أن رسول اللهﷺ قال: «رصّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف» (أبو داود والنسائي).

وقد وردت روايات كثيرة في كتب الحديث تأكيداً على إحكام الصف عند الصلاة بالجماعة، وتقول بعض هذه الروايات: إن الشيطان يدخل من خلل الصف، والبعض فضل معنى هذه الروايات اللفظى رغم أن المدلول اللفظي غير عملي هنا، لأنه حين يمد؛ مصليان أرجلهما يحدث فُرَج بين رجلَيْ كل مصلٍ حتى تتمكن الحذف (صغار الضأن) من الدخول عبره.

هذه الروايات لا تتحدث عن هيئة ظاهرية، بل عن حقيقة من حقائق الحياة. فالمطلوب من المسلمين أن يعيشوا حياتهم كلها بمنتهى الاتحاد. إنه يجب عليهم أن تتسم كل أنشطتهم بالاتحاد، وأن يكون في

كل عمل من أعمالهم مظاهر للوحدة. فحتى لو خرج بضع مسلمين مسافرين وجب عليهم أن يختاروا واحداً منهم أميراً عليهم، وأن يسافروا وحدة واحدة في ظل إمارته. وحيثما تناقص الاتحاد بين المسلمين تسلل الشيطان إلى صفوفهم وضيَّع مصالحهم.

ولو كانت العلاقات بين المسلمين تعاني من الفرقة فلن يخلو مجتمعهم من الفتن، سواء أكان ذلك داخل المسجد أم خارجه.

obeikandl.com

الجهاد الإسلامي

«الجهاد» يعني المبالغة في بذل الجهد فيقال: «جهدتُ رأيي».

وجاء في القرآن الكريم: ﴿**وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم**﴾ (المائدة: ٥٣).

والإسلام جهاد من أوله إلى آخره.. فحين يدخل المرءُ الإسلامَ فهو يدخل حياة مجاهدة، تستمر إلى أن يدركه الموت، وهو يظل يجاهد في سبيل مرضاة الله.

والجبهة الأولى للجهاد هي نفس المرء ذاتها، فحين يقول شخص ما إنه مؤمن ومسلم فهو يعاهد بأنه سيكبح الدوافع النفسانية، وسيحارب الترغيبات الشيطانية؛ ليمضي على صراط الله المستقيم. وهذا ما يعبِّر عنه الحديث النبوي الشريف الذي يقول: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

والجبهة الثانية للجهاد هي الدعوة؛ أي بذل أقصى الجهد لنقل رسالة الله إلى عباده، وهو عمل عظيم يصفه القرآن الكريم بالجهاد الكبير: ﴿**وجاهدهم به جهاداً كبيراً**﴾ (الفرقان: ٥٢).

وقد نزل دين الله لكل البشر وكل الشعوب، فيجب إبلاغ دين الله إلى أهل الأرض كلهم بمراعاة الآداب والمقتضيات الضرورية، والدعوة -من هذه الناحية- أعظم أنواع الجهاد، فلا جهاد أعظم منها.

والجبهة الثالثة للجهاد هي الدفاع. فلو اعتدى أعداء الإسلام على أهل الإسلام وفشلت التدابير للوقاية من هذا العدوان، وجبت مقاومة المعتدين -بشرط الاستطاعة وإلقاء الهزيمة بهم ودحرهم. وهذا النوع الثالث من الجهاد هو ما يسمى في الشريعة بالقتال في سبيل الله.

وجهاد النفس وجهاد الدعوة عملان دائمان مستمران كل يوم وكل لحظة من حياة المؤمن والمؤمنة. أما جهاد الأعداء فأمر طارئ ومؤقت يزول مع زوال العدوان. وهدفه الدفاع الذي يُلْجَأُ إليه في حالة مبادرة طرفٍ خارجي بالعدوان.

obeikandl.com

الإسلام بين المظاهر والروح

يعني إسلام العبد أن يصبح اللهُ وقضيةُ الآخرة جزءاً لايتجزأ من حياته . . أن يتجدد لقاء العبد بالله -على المستوى الروحاني- باستمرار . . ولكن حين يصاب المؤمنون بالجمود والانحطاط تغيب عنهم روح الإسلام ، ولا تبقى لهم منه سوى المظاهر والشكليات ، فيهبط من مستواه الرباني إلى المستوى البشري . . فتخمد مشاعر حب الله والخوف منه ؛ لأنه تعالى غائب عن الأنظار، ويروج تقديس «الآلهة» المنظورين من الأحبار والرهبان . . وينتهي البكاء أمام الله والتضرع إليه في خلوات الليل الهادئة ، وتروج التلاوة والخطب بالمذياع ومكبرات الصوت . وتكفّ الصلاة عن إنارة القلوب ، بينما أضواء الجوامع تبهر الأبصار . . يخلو الصيام من الصبر والتقوى ، ويكثر الاهتمام بالإفطار والسحور . . تغيب روح الشكر والسجود أمام الخالق في الأعياد ، بينما بريق الملابس والأسواق يخلب الأنظار . . هكذا يهبط من مستواه الرباني إلى مستواه البشري .

حين يراقبك الأسد

جيم كوربيت رجل إنجليزي جاء إلى الهند سنة ١٩٠٧ ، وبلغه بعد مجيئه بقليل أن هناك عدداً من الأسود الآكلة للبشر في منطقة كومايون بشمال الهند، فحمل بندقيته وتوجه إلى غابات كومايون ، وفي نفس السنة قتل ببندقيته أسداً كان قد التهم ٤٣٠ شخصاً من قبل.

وأمضى جيم كوربيت ٢٢ سنة في غابات كومايون حيث أعدم برصاص بندقيته أكثر من ١٢ أسداً من أكلة البشر. والجائزة الوحيدة التي حصل عليها كوربيت -لقاء هذه البطولات التي عرّض فيها نفسه للخطر مراراً- هي الطمأنينة القلبية؛ بأنه جعل قطعة صغيرة من الأرض آمنة تمشي عليها الفتيات الصغيرات.

وقد سجل كوربيت تجاربه هذه بتفصيل في كتابه «أكلة البشر بكومايون» Man-eaters of Kumaon وهو يقول في كتابه هذا: «أن القرب من الأسد في ضوء النهار، حتى لو لم يكن قد رآك، يسبب لك هيجاناً في الدورة الدموية، ويتحول الهيجان إلى إعصار حين لا يكون الأسد أسداً عادياً بل آكلا للبشر، وتكون الساعة العاشرة في ليلة مظلمة وأنت تعرف أن آكل البشر يراقبك».

الإحساس بأن الأسد قريب مني وأنه يراقبني يثير طوفاناً في دم الإنسان. فما بالك لو تملكك اليقين بأن الله -الذي هو خالق كل الأسود وكل السماوات والأرض- قريب منك ويراقبك بحيث لا يمكنك إخفاء شيء من شؤونك وأسرارك عنه؟ . .

لا تكن الخامس فتهلك

قال الرسول ﷺ: «كنْ عـالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك».

العلم المطلـوب في حديث الـرسول هو العلـم الذي يتيح لـلإنسان معـرفـة الله وأحكـامـه، ومن النـاس المثقفـون والجهلة، والعـاقلـون والأغبياء؛ و لذلك حـدد الرسول أربع درجاتٍ مراعـاةً لأحوال الناس، وأمرنا بأن نكون ضمن إحدى هذه الدرجات الأربعة.

فالمطلوب الأول أن تتعمق في استيعاب كتاب الله وسنة رسوله، وأن تبذل الجهود اللازمة للوصول إلى المعرفة الصحيحة.

و إن لم تصل بعدُ إلى هـذه الدرجة، فعليك أن تكون عـارفاً بجهلك فتبدأ دراسة العلم الحقيقي وتصبح طالب علم القرآن والسنة النبوية.

ولو أدركتَ -بسبب أحوالـك- أنك غير قادر على اكتساب العلم، فـلا بد أن تعترف في قـرارة نفسك بأنك لست عالماً ولا طـالب علم . . والقرار الصحيـح في مثل هذه الحالـة هو أن تصبح مستمعاً، تتـوجه إلى مجالس العلماء وتنصت إلى مـا يـدور فيهـا من أحـاديـث العلم. ولـو شعـرت أنك غير قـادر حتى على هـذه الـدرجـة، فـلا بـدَّ أن تشعـر بـالحرمان وأقلّـه أن تحبَّ الـذين اكتسبوا شيئـاً من العلم. وهـذه أدنى درجة يقبلها المؤمن لنفسه في حياته الدنيوية.

والدرجة الخامسة ليست الهداية بل هي الضلال، وهي أن يكون الإنسان جاهلاً بالحقائق ثم يُصرُّ على الجدال والخصام، أو أن يسخر حياته كلها لتعلم علوم لا تمت إلى علوم الدين بصلة، أو أن يتوجه إلى مجالس لا يذكر فيها اسم الله ولا تتداول فيها أحاديث الدِّين، إلى أن ينتهي به المطاف إلى احترام أناس ليسوا من علماء الدِّين، بل ممن سخَّروا أنفسهم لاكتساب علوم أخرى لا أهمية لها في يوم الدين. هذا هو الإنسان الخامس. ومن وجد نفسه على هذه الدرجة فليتأكد أنه قد «هلك»، اللهم إلا إذا تاب وجاهد ليصبح واحداً من الأربعة الأوائل.

obeikandl.com

التكالب على الدنيا

لو تعمقت في دراسة المجتمع فستجد أن كل الناس يتهافتون على المكاسب الدنيوية، كل الناس من غنى وفقير، وجاهل وعالم، وصغير وكبير، يلهث وراء مغريات الدنيا، ولو شعر أحدهم أن يستطيع أن يحصل على ذرة من المتعة أو الثروة أو الشهرة أو المنصب فهو يجري لاهثاً وراءها، وكأنه يقول بلسان حاله: «هذه الأشياء لا توجد عند الله، فلِمَ لا أفوز بها هنا»!!

وأغرب شيء في هذا الصدد هو أن الذين يظنون أنهم متمسكون بالدِّين هم لا يختلفون عن غيرهم.. وهم لم يتخلفوا عن أحد في جريهم وراء بعض الإمكانات التي انفتحت لهم في العصر الحديث. وشوقهم لا يقل عن أي إنسان آخر في لُهَاثِهم وراء المناصب والاستعراضات والحفلات والاشتراك في المؤتمرات والاستقبالات ونشر الأخبار في الصحف وما إلى ذلك من حب البروز والدعاية للذات... ويبدو أن الذي يخطب عن الآخرة لا يؤمن بها، وإن كان يؤمن بها فما أضحل إيمانه الذي لا يظهر في سلوكه الشخصي.

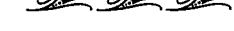

التقوى والأخلاق

سُئِلَ رسول الله ﷺ -فيما رواه الترمذي- عن أكثر ما يُدخِل الناسَ الجنةَ، قال: «تقوى الله وحسن الخلق».

الإنسان عبد الله، ولكنه يعيش في هذا العالم بين ظهراني كثيرين من عباد الله.

فعلاقته تقوم -معاً- بالله تعالى من جهة وبالآخرين من البشر من جهة أخرى، وهكذا يخضع الإنسان لامتحان من نوعين، عليه أن ينجح في كليهما. والمطلوب من الإنسان فيما يتعلق بالله أن يعتبره خالقَه ومالكه، وأن يتملَّكه شعور بالعظمة الإلهية والكيفية القلبية التي تنتج عن هذه العقيدة، وهذا الشعور هو ما يسمى بالتقوى.

الله عظيم والإنسان صغير.. الله قادر والإنسان عاجز.. الله معطٍ والإنسان متلقٍ. واعتراف الإنسان بهذه الحقائق يولِّد فيه مشاعرَ التواضع أما م البشر والمسؤولية أمام الله، وهو يقضي على مزاج الطغيان والتفرعن فيه.. فيبدأ حياة عامرة بحبِّ الله والخوف منه في آنٍ واحد.

وحين يكون إنسان كهذا بين آخرين من البشر فيكون تعامله معهم مثالاً لحسن الأخلاق، ويكون قوله عَلَماً على التواضع، وعمله رمزاً للعدل.. فهو يعيش وكأنه يرى الله تعالى أمامه يراقبه، متيقناً من أنه

تعالى سيحاسبه عن كل قول وفعل . والأخلاق التي تظهر عن إنسان كهذا هي ما يسمى بحسن الخلق . والإنسان الذي يفوز في هذين الامتحانين هو الذي سيدخل الجنان الأبدية .

obeikandl.com

بين الدين الإلهي والمذهب الوضعي

إلكـزندر تـوسيبكـو فيلسـوف روسي معروف يبلغ مـن العمر نحـو خمسين سنة . وهو أستاذ بمعهد الاقتصاد الدولي والدراسات السياسية بموسكو . . قابله مندوب مجلة نيـوزويك ، وأجرى معه حديثاً خاصاً ، نشرته المجلة في عددها الصـادر في ٢٣ يوليو ١٩٩٠ . ومن هذا الحوار السؤال والجواب التاليين :

س : كيف تطورت أفكارك عن الماركسيـة؟ ماذا كان أهم شيء في تطورك الشخصي؟

ج : حين تقرأ كتـاب (الرأسمال) لكارل ماركس فـلا تكاد تصل إلى الصفحـة الثالثـة حتى يتضح لك كل شيء بـدون لف ولا دوران ، والعبيط وحده يمكن أن يؤمن حقاً بالماركسية .

وكان مـاركس قد ألف كتـابه عن الاقتصاد الـرأسمالي بعنوان (داس كـابيتـال) بالألمانيـة . ونشر هـذا الكتـاب للمرة الأولـة سنـة ١٨٦٧ . وادعى الاشتراكيون أن هذا هو «قرآن العصر الحديث» ، وأن الإنسان لا يحتـاج اليوم إلى الأنجيـل أو القرآن ، بل يكفيـه داس كـابتيـال موجهـاً وقائداً !!

وقد انهار سحر هذا الكتاب خلال قرن واحد فقط لدرجة أن مفكراً روسياً معاصراً يرى أنه كتاب لا يؤمن به إلا المغفَّلون.

والقرآن على العكس من هذا لا يزال يحافظ على أهميته منذ أربعة عشر قرناً. ولم يثبت في حق القرآن، ولا الذي جاء به، شيئ ينال منهما. ولا يزال القرآن «كتاباً لا ريب فيه». وهذا دليل لا سبيل إلى إنكاره حول أحقية القرآن الأبدية.

ما أن صل الإنسان إلى «الصفحة الثالثة» من كتب البشر حتى تتضح له أخطاؤها . . أما القرآن فكتاب خالٍ من كل الأخطاء حتى «صفحته الأخيرة»، وهذه الحقيقة العلمية دليل كافٍ على أن القرآن كتاب إلهي، وأنه ليس من صنع البشر . .

obeikandl.com

ليس كمثله شيء

جاء في القرآن عن الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١). فالله تعالى أعلى وأعظم من كل وجود في الكون، ومن كل ناحية. وعلوه وسموه هذا هو الذي يفرض أن يكون الله معبوداً لكل الموجودات الأخرى.. أن يركع الكل أمامه.. أن يعتبره الكل أعظم منهم وأن يرضوا بالعيش صغيرين أمامه.

إن الذات الإلهية قائمة بذاتها. أما الإنسان فلم يوجد إلاّ لأنه مخلوق، بينما الله تعالى أعظم من أن يخلقه أحد. فالوجود الإلهي مستقل بذاته، وهو موجود منذ الأزل وسيظل موجوداً إلى الأبد. وهو واحد ليس له من والد ولا ابن.. وليس له من كفؤ.

والله تعالى قادر على إبداع الوجود من العدم، وهو الذي أوجد كل ما لم يكن موجوداً من قبل. وما نراه في الكون من مادة وحركة، وضوء وطاقة، وشعور وحياة، هو كله من خلق الله.. فهو الذي أسبغ الوجود على كل شيء.

والله تعالى عالم الغيب.. وهو يعلم تمام العلم ما حدث، ويحدث، وسيحدث. وهو الذي دبَّر الكونَ بحيث تتوافق كل أجزائه ويتوأم بعضها مع البعض الآخر فلا يحدث فيه نقص مطلقاً.

والله تعالى موجود حيّ . . وقد تجلّى عن النوم والإرهاق والضعف . . وهو يُدَيِّر كونه المترامي الأطراف بصورة مستمرة لا خلل فيها، وهذا هو السبب في أن الكون لا يزال يتحرك بنظامه البديع رغم مرور آلاف البلايين من السنوات على ظهوره، لم يتوقف خلاله لحظة واحدة، ولم يقع خلاله خلل واحد في حركته.

والله تعالى يملك القوة الكاملة، ولو لم يكن الله مالكَ القوة لما تمتع الإنسان بشيء منها . . والله تعالى بصير بكل ما أوجده من مخلوقات . . ولو لم يكن الله بصيراً لحُرِم الإنسانُ من نعمة البصر. والله تعالى يملك والإدراك الكامل. . والله تعالى مالك كل شيء وصاحب كل قوة. وهو يملك الصفات التي نعرفها والصفات التي لا نعرفها . . لقد تجلت صفة الله «الخالقية» في العالم الراهن، وستتجلى صفته أكثر «الحاكمية» في العالم الآتي.

الغد آتٍ بعد كل يوم

كانت بنزير بوتو رئيسة وزراء باكستان لعشرين شهراً. ثم أقصاها الرئيس غلام إسحاق خان عن منصبها بتأييد من الجيش الباكستاني في ٦ أغسطس ١٩٩٠ .

ويقال إن الفساد فاق كل الحدود في عهد بنزير. وقد نشرت الصحف وقائع وقصصاً كثيرة حول هذا، ومنها تقرير مفصل نشره س. وينكانت ناراين مراسل صحيفة «هند وستان تايمز» بلاهور في عددها الصادر في ٢٢ أغسطس ١٩٩٠ ، ويقول هذا التقرير بعد ذكر وقائع متعددة:

إن أقارب بنزير وأعضاء حزبها كوَّنوا ثروات وأملاكاً تقدَّر بالبلايين. ومما قاله المراسل: «كان أصدقاء السيدة وأقاربها وأقارب زوجها المتنازع عليه آصف على زرداري مشغولين في إثراء أنفسهم كأنه لن يكون هناك غد بعد يومهم ذاك».

وما قاله المراسل عن أقارب وحاشية بنزير بوتو هو نفس شأن كل البشر في ما يتعلق بقضية الآخرة. فإنسان اليوم مشغول بيومه، وهو يظنُّ أنَّ الغد لن يأتي أبداً.

والنـاس ينكـرون الحق كأنهم لـن يسألهم سـائل : لِمَ أنكـروا الحق؟ والناس مشغولون بالكـذب كأن أحداً لن يحاسبهم على ما يلفظونه من كذب . والنـاس قد أحلّـوا أرواح الآخرين وأمـوالهم وشرفهم كأنهم لن يحاسبوا على تحليـل ما حرمـه الله . والنـاس يخرقون المبـادئ كأن ذلك اليـوم لن يأتي أبداً ، حيث سيجب عليهم أن يبرروا : لِمَ خـرقوا المبـادئ الإلهية الأبدية لمنافع وقتية وزائلة .

obeikandl.com

الجنة والجحيم

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «ما رأيت مثل النار: نام هاربها، وما رأيت مثل الجنة: نام طالبيها» (رواه الترمذي).

إن أكثر ما ينبغي للمرء أن يهرب منه هو الجحيم ولكنه نسيها تماما . . وينبغي أن تكون الجنة على رأس ما يطلبه الإنسان، ولكنه غير طالباً لها. وهاتان الجملتان خلاصة لقصة كل البشر.

وما أعجب حال البشر هذا . . فالناس لا يخافون من الجحيم حتى على مستوى الشعور. وهم لا يطلبون جنة الله حتى على مستوى الأماني. وكيف يمكنهم - والحالة هذه- النجاة من النار والفوز بنعيم الجنة ؟ !

ومخاوف البشر تتركز على أشياء أخرى، ومشاعرهم تلتهب لأمور أخرى، ومشاعر الخوف والأمل الكامنة فيهم مكرَّسة لأشياء أخرى، فكيف يمكن في مثل هذه الحالة أن يستحقوا رحمة ربهم؟

لقد جعل الناس قضية الدنيا قضية قضاياهم، ولم تعد قضية الآخرة قضية أحد منهم. ومركز أعمال الكل هي ثروات الدنيا وزعاماتها وقبولها وشهرتها، وليس هناك من أحد يفكر في عطايا الآخرة ونجاتها. وليس هناك من أحد يجنُّ جنونه خوفاً من عذاب الآخرة وطمعاً في جنة الآخرة.

آه، لـدينـا بها كل شيء ولكن ينقصها الشيء الـذي كـان ينبغي أن يكـون بها قبل كل شيء. آه، لـلإنسـان الذي يعـرف كل شيء ولكنـه يجهل أهم شيء كان ينبغي عليه معرفته قبل كل شيء. هذه هي الغفلة الكبرى، وسيأتي يوم يدرك فيه الإنسـان غفلته هذه. ولكن هيهات . . تلك المعرفـة ستكون حسرة على صـاحبها وليست فرصـة لتلافي مـا قد فات.

obeikandl.com

أنصاف رجال

قلت لرجل كنت أتحدث معه: «كل الذين جربتهم وجدتُهم أنصاف رجال، لم أجد رجلاً كاملاً. فكل شخص كان رجلاً بنسبة خمسين في المائة، ولم أجد رجلاً بنسبة مائة في المائة».

كل رجل خبير في إدراك «الحق» الذي يصيب الآخرين ويضرّهم، أما «الحق» الذي يصيبه هو فلا أحد خبير بمعرفته، ولا أحد كريم الأخلاق إلا حين تقول أو تفعل ما يرضيه، ولا أحد كريم الأخلاق حين تقول أو تفعل ما لا يحبه. الكل حريص على فهم مصلحته، والكل أبله في فهم مصالح الآخرين.

كل الناس في عالم اليوم يتحدثون عن «المبادئ»، ولكن كل الناس بدون مبدأ من الناحية العملية، فهو يحث الآخرين على العزيمة بينما يختار الرخصة ديناً له. الكل متقدم في ميدان الكلام والكل متخلف في ميدان العمل.

الكل ظالم ولكنه يعلن نفسه مظلوماً. والكل يسعى لمصلحته ولكن الكل يضع تاج الحق على رأسه. الكل يقف على الكذب ولكن الكل يتزين بلباس الصديق حين يظهر أمام الآخرين. الكل غير جاد ولكنه يضع على وجهه قناع الجد. الكل يسعى لذاته ولكنه يعلن أنه يقوم لأجل الدين والمبدأ لا غير.

الكل ينشر الظـلام ولكنـه يتحـدث عن النـور. الكل منـدوب الخريف ولكنه يعلن نفسه ممثلاً للربيع. الكـل يدير مشاريع التخريب ولكنه يرفع لـواء البناء. الكل يدفع الآخريـن إلى غار الموت ولكنه يعلن أنه فارس الحياة.

ولو قـال الناس نفس ما عملوه، وعملـوا نفس ما قالوه فسيُعـرَفون على الأقل بـالصـدق. أمـا في الحالة السـائدة فـلا أحـد سيفـوز حتى بوصف الصدق.

آهٍ لدينا كل رجالها أنصاف رجال يعلنون أنهم الأكملون.

obeikandl.com

أدوات الامتحان

حين يدخل الطالب قاعة الامتحان يجد مكانا فسيحاً، وكراسي وطاولات، وعمالاً يخدمونه، والنور، والماء، وأشياء أخرى كثيرة. ولكن الطالب لا يملك شيئا من هذه الأشياء، فكل محتويات قاعة الامتحان أدوات للامتحان وليست أشياء للتملك، وللطالب أن يتصرف في تلك الأشياء طيلة مدة الامتحان، ولا تكاد المدة المقررة تنتهي حتى يُجبَر على مغادرة القاعة.

وهذه هي قضية الإنسان بالنسبة لسائر العالم. فليس هنا من شيء يمكله الإنسان ملكية حقيقية وقطعية، بل كل شيء أُعطى له كأدوات الامتحان، فالجسد الذي يولد به الإنسان ونظام الأرض والسماوات الذي يستفيد به وحتى الأشياء التي تبدوا وكأنه اكتسبها بعرق جبينه، هي كله من الله تعالى، وقد أعطيت له على سبيل الامتحان، ويحق له استخادمها إلى أن تأتي منيته، فحقه ينتهي بصورة كلية بمجرد مجيء الموت.

واختبار الطالب الذي يدخل قاعة الامتحانات هو أن يجيب على الأسئلة المطبوعة على ورقة الامتحان، وهو ناجح لو فعل ذلك، وفاشل فيما لو أخفق في الإجابة عليها.

وامتحان الإنسان في الدنيا هو ليرى اللهُ تعالى ردَّ فعلنا إزاء امتلاك هذه الأشياء، أو كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**لننظر كيف تعملون**﴾ (يونس: ١٤). فقد أعطانا الخالق أسباب الحياة ثم تركنا أحراراً ليمتحننا: ﴿**هل نشكر ربنا أو نكفر بنعمته**﴾ (النمل: ٤٠).

فحياتنا قبل الموت هي فترة الامتحان، أما حياتنا بعده فهي فترة الجزاء. والذي يسلك طريق الشكر في حياته قبل الموت هو الذي سيظفر بالجنة الأبدية في حياته بعد الموت، وأما الذي يسلك طريق الكفر بنعم الله في حياته قبل الموت فسيكون من نصيبه الجحيم الأبدي بعد الموت.